بحسنة فلم يعملها كتبت الله له عنده حسنة كاملة وان هم بها وعملها كتبت الله له
عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها
كتبت الله له عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعلها كتبها الله له سيئة واحدة
متفق عليه وكل هذه الاحاديث تدل على عفو واما التوفيق بين هذه الايات والاحاديث
ان ما يجري في القلب من الوسوسة ضرورية واختيارية فالضرورية ما يجري
في الصدور من الخواطر ابتداء لا يقدر الانسان على دفعه فهو معفو عن جميع الامم
قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها والاختيارية هي التي تجري في القلب
وتستمر وهو يقصد ان يعمل به ويتلذذ به كما يجري في قلبه حب امراة ويدوم عليه
ويقصد الوصول اليها وما اشبه ذلك من المعاصي فقد اختلف في هذا النوع هل هو
معفو عنه او مؤاخذ به قال الطيبي في شرح المشكاة فهذا النوع عفى الله تعالى
عن هذه الامة تشريفا وتكريما لنبينا محمد عليه السلام وامته واليه ينظر
قوله تعالى ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا واما العقائد
الفاسدة وساوس الاخلاق وما ينضم الى ذلك فانها بمعزل عن الدخول
في جملة ما وسوسته الصدور انتهى كلامه وقال النووي عن الامام
الماوردي رحمه الله مذهب القاضي ابي يعلى الطيب ان من عزم على المعصية
بقلبه ووطن نفسه عليها اثم في اعتقاده وعزمه ويحمل ما وقع في امثال قوله
عليه السلام اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها
بسيئة الحديث على ان ذلك فيمن لم يوطن نفسه على المعصية وانما مر بذلك
بفكرة من غير استقرار ويسمى هذا هما ويفرق بين الهم والعزم هذا مذهب القاضي
ابي يعلى وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين واخذوا بظاهر الحديث قال
القاضي عياض رحمه الله عامة السلف واهل العلم من الفقهاء والمحدثين
على ما ذهب اليه القاضي ابو يعلى للاحاديث الدالة على المؤاخذة
باعمال القلوب لكنهم قالوا ان هذا العزم يكتب سيئة وليست السيئة التي

هم بها لكونها لم يعملها وان قطعه قاطع غير خوف الله تعالى ولا انابة لكن
نفس الاصرار والعزم معصية فيكتب معصية فاذا عملها كتبت معصية
ثانية فان تركها خشية الله تعالى كتبت حسنة كما ورد في الحديث
انما تركها من خوفي فصار تركه لخوف الله تعالى ومجاهدة نفسه الامارة
بالسوء حسنة وقد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر
ومن ذلك الايات المذكورة فيما تقدم في هذا الباب وقد تظاهرت نصوص
الشرع والاجماع على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وارادة المكروه
والعجب والرياء والنفاق وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا مما يدخل تحت الاختيار فلو
وقع البصر بغير اختيار على غير محرم لم يؤاخذ بها فان اتبعها نظرة ثانية كان
مؤاخذ بها لانه مختار وكذا خواطر القلب يجري هذا المجرى بل القلب اولى
بمؤاخذة لانه اصل قال عليه السلام التقوى ههنا واشار الى القلب
ولان البر ما اطمان اليه القلوب وان افتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب
المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا صادما على فعله ومن وجد امراة على
فراشه فظن انها اجنبية فوطئها كان عاصيا وان كانت تلك المراة
زوجته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح فاذا عرفت ما ذكرنا في هذا
الباب فقد عرفت التوفيق بين الايات والاحاديث التي يدل بعضها على
المؤاخذة باعمال القلوب وبعضها على العفو بها فان محل المؤاخذة العزم
ومحل العفو الهم وقد عرفت الفرق بينهما انفا فينبغي للعاقل ان يحفظ قلبه
عن ان يعزم على المعصية وليس عليه بأس اذا خطر له خاطر المعصية يلتجئ
الى الله تعالى بالاستعاذة ويخصص بذكر الله تعالى ويشتغل بعمل من اعمال
الخير ويذكر فيه ذلك المعصية وانه حجاب بينه وبين محبوبه ومبعد عن احبائه
من المقربين ويجهد في ذلك بغاية جهده فان الله تعالى قال والذين جاهدوا فينا

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)